جمالية التركيب الصوتي في القرآن الكريم –آيات خلق الكون أنموذجاً–

The aesthetic of phonetic structure in the Noble Qur'an -verses of the creation of the universe as a model-

كاوار طاهر محمد المزوري
د. منال صلاح الدين عزيز الصفار
أستاذ
جامعة دهوك– كلية التربية عقرة – قسم اللغة العربية

Kawar Taher Mohammad Al-Mazouri
Dr. Manal Salah El-Deen Aziz Al-Saffar
professor
University of Dohuk - College of Education, Akre - Department of Arabic Language

drmanal1966@gmail.com
www.kawartaher@yahoo.com

تاريخ الاستلام ٢٠٢٣/٣/١٢ تاريخ القبول ٢٠٢٣/٤/٢

الكلمات المفتاحية: دلالة، صوت، جمالية، مناسبة، خلق الكون

Keywords: signifier, sound, aesthetic, appropriate, creation of the universe

الملخص

إنّ مرادنا في هذه الدراسة هو بيان جمالية التركيب الصوتي في القرآن الكريم، وبيان ما في الجانب الصوتي القرآني من جمال، باعتماد آيات خلق الكون، فدراسة الوحدة اللغوية في جانبها الصوتي يسهم في الكشف عن المعاني، وذلك بتضافر هذه الأصوات مع بعضها لإنتاج دلالات معينة، ومناسبة كل صوت لمعنى الكلمة التي ورد فيها، من حيث الجهر والهمس، والتفخيم والترقيق، والشدة والرخاوة، وما إلى ذلك من صفات. وقد لاحظ العلماء منذ القِدَم مناسبة الحروف العربية لمعانيها، ورأوا أنّ المادة الصوتية في هذه الحروف لها أثر كبير في استدعاء المعنى أو الإيماء به، حتى أنّ المعنى يتولَّد في ذهن السامع من خلال سماع أصوات الكلمة، فضلاً عن اللذة التي تبعثها هذه الأصوات في النفوس والقلوب، والقرآن الكريم جميل في كل جوانبه، معجز لا يبارى؛ وبحر لا ينضب من المعاني بل هو متجدد على مر العصور، لذلك أمرنا الله تعالى بتَدَبُّر آياته لنتذوّق جماليته، من هنا جاءت الدراسة لتسلط الضوء على عدد من الجوانب الصوتية في آيات خلق الكون، وقد أكّدت الدراسة إلى أنّ الصوت يحمل دلالة من خلال مناسبته للمعنى، وهي دلالة ناتجة عن حسن تخيُّر المادة الصوتية صفة ومخرجاً، وحسن نظمها ورصفها لتتلائم مع الموقف، وتُصوِّر لنا المشهد القرآني بشكل يفوق الإبداع البشري.

Abstract

What we want in this study is to show the aesthetic of the phonetic structure in the Holy Qur'an, and to show what is in the Qur'an audio aspect of the beauty, by adopting the verses of the creation of the universe, the study of the linguistic unit in its phonetic aspect contributes to the detection of meanings, by combining these sounds with each other to produce certain connotations, and the appropriateness of each sound to the meaning of the word in which it was received, in terms of loudness and whispering, amplification and thinning, intensity and looseness, and so on. Scientists have noticed since ancient times the appropriateness of the Arabic letters for their meanings, and they saw that the phonetic material in these letters has a great impact in calling the meaning or nodding it, so that the meaning is generated in the mind of the listener by hearing the sounds of the word, as well as the pleasure that these sounds emit in the souls and hearts, and the Holy Qur'an is beautiful in all its aspects, a miracle that is incomparable, And an inexhaustible sea of meanings, but it is renewed throughout the ages, so God Almighty ordered us to contemplate his verses to taste his aesthetics, hence the study came to highlight a number of acoustic aspects in the verses of the creation of the universe, and the study found that the sound carries a significance through its suitability for meaning, which is a connotation resulting from the good choice of audio material as a recipe and a way out, and good systems and paving to suit the situation, and depict us the Qur'an scene in a way that exceeds human creativity.

المقدمة

تميزت اللغة العربية بخصائص عِدّة بهرت الناظرين ولفتت أنظار الباحثين والدارسين، وهي خصائص لا نكاد نجدها في اللغات الأخرى، ومن أبرزها المناسبة بين الصوت والمعنى في تركيب الألفاظ، حيث أثر الصوت في الإيحاء بالمعنى، من خلال مقابلة صفة الصوت بمعنى الكلمة، والوصول إلى دلالات وإيحاءات لا يمكن الوصول إليها إلاّ عن طريق التحليل الصوتي لتركيب الكلمة. وتُعَد دراسة ابن جني (ت: ٣٩٢هـ) في كتاب (الخصائص) من أشمل الدراسات القديمة في هذا المجال.

وللمستوى الصوتي أهمية كبيرة في الدراسات اللغوية؛ لأنه المستوى الأول فيها، ومنه تتشكل مفرداتها؛ فما اللغة إلاّ "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"(١). فالأصوات هي اللبنات الأساسية لجميع لغات العالم، واللغة العربية هي لغة القرآن الكريم الذي يُعَد الأبلغ والأصح تركيباً من بين أنواع الكلام العربي، والأدق انتقاءً للأصوات بما يناسب معناها، وهذا ما وجدناه عند دراستنا لأصوات القرآن الكريم.

منهج البحث:

المنهج الذي يقوم عليه البحث هو المنهج الوصفي التحليلي، الذي يقوم بوصف الظاهرة وصفاً دقيقاً، ومن ثَمَّ تحليلها تحليلاً صوتياً ليُكشَف عن ابعادها الجمالية الدلالية.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية البحث في الكشف عن معاني الألفاظ بالاعتماد على التحليل الصوتي للتراكيب اللغوية في القرآن الكريم، فضلاً عن بيان أهمية هذا النوع من التحليل الذي يقوم على مقابلة صفات الأصوات بمعاني الألفاظ والمناسبة بينهما.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة الموضوع أن تسير خطته على النحو الآتي: التمهيد، ومبحثين، مسبوقة بمقدمة ومنتهية بخاتمة متضمنة أبرز النتائج التي توصل إليها البحث، تناولنا في التمهيد جمالية أصوات القرآن، أما المبحث الأول فقد تناول بالدراسة دلالة صفات الأصوات، وذلك بجرد وإحصاء أصوات الآيات المعنية بالبحث، ومن ثَمَّ تحليل نتائج الإحصاء، وتناول المبحث الثاني دلالة الأصوات ومناسبتها للمعنى، وذلك بتحليل نماذج مختارة من آيات خلق الكون صوتياً بغية الكشف عن الأبعاد الجمالية الدلالية فيها، ولأنّ آيات خلق الكون كثيرة جداً؛ فلا يسع المجال لذكرها جميعاً، إلاّ أنّنا سنكتفي بعدد من النماذج للتحليل.

---

(١) الخصائص، ابن جني: ١ / ٣٤ .

التمهيد

جمالية أصوات القرآن

١- جمالية الصوت القرآني

تتميز لغة القرآن الكريم بأنها الأبلغ والأصح تركيبا وانتقاءً للأصوات بما يناسب المعنى، وفي ذلك يقول الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ): "إنّ طريقة النظم التي اتسقت بها ألفاظ القرآن وتألفت لها حروف هذه الألفاظ إنّما هي طريقة يتوخّى بها إلى أنواع من المنطق وصفات من اللهجة لم تكن على هذا الوجه من كلام العرب، ولكنها ظهرت فيه أول شيء من القرآن، ولا تلوي من دونه حجاب القلب، حتى لم يكن لمن يسمعه بد من الاسترسال إليه والتوفر على الإصغاء، لا يستمهله أمر من دونه وإن كان أمر العادة، ولا يستنسئه الشيطان وإن كانت طاعته عندهم عبادة، فإنه يسمع ضربا خالصا من الموسيقى اللغوية في انسجامه واطّراد نسقه واتزانه على أجزاء النفس مقطعا مقطعا ونبرة نبرة كأنها توقعه توقيعا ولا تتلوه تلاوة"[١]، فالقرآن الكريم ينتقي الأصوات بحسب دلالتها وتجسيدها للمعاني في أبهى صورة.

ويوضح الزرقاني (ت: ١٣٦٧هـ) جمالية الصوت داخل النظم القرآني بقوله: "ونريد بجمال القرآن اللغوي تلك الظاهرة العجيبة التي امتاز بها القرآن في رصف حروفه وترتيب كلماته ترتيبا دونه كل ترتيب ونظام تعاطاه الناس في كلامهم وبيان ذلك أنك إذا استمعت إلى حروف القرآن خارجة من مخارجها الصحيحة تشعر بلذة جديدة في رصف هذه الحروف بعضها بجانب بعض في الكلمات والآيات، هذا ينقر وذاك يصفر وهذا يخفى وذاك يظهر وهذا يهمس وذاك يجهر إلى غير ذلك مما هو مقرر في باب مخارج الحروف وصفاتها في علم التجويد ومن هنا يتجلى لك جمال لغة القرآن"[٢]، والقرآن الكريم لم يخرج عن لغة العرب التي عهدوها، فالحروف والمفردات والتراكيب هي هي، ومع ذلك أعجزهم بنظمه العجيب، وهذا التآلف الموجود في حروفه وأصواته التي تتداخل وتجتمع بخواصها وصفاتها، فيتكون منها اللحن الموسيقي، فيه إعجاز وجمال لغوي ما بعده جمال، لأن النظم الموسيقي في القرآن الكريم يكمن في "ترتيب حروفه باعتبار من أصواتها ومخارجها، ومناسبة بعض ذلك لبعضه مناسبة طبيعية في الهمس والجهر، والشدة والرخاوة والتفخيم والترقيق، والتفشي والتكرير"[٣]، إذاً فالأصوات في القرآن الكريم وسيلة جمالية لإبراز الدلالات التي تتناغم والموقف الذي ترد

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ١٤٧ .

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن: ٢ / ٣١٢ .

(٣) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ١٤٨ – ١٤٩ .

فيه[١]، ولا يمكن لأي متذوق للغة العربية أن يتجاهل هذا الجمال الأخّاذ الذي يطرق الآذان بمجرد سماع الجرس الموسيقي المتناغم للآيات القرآنية الذي بلغ أقصى حدود الجمال.

٢- دلالة الصوت على المعنى

تعد مسألة دلالة الصوت على المعنى والعلاقة بينهما مسألة قديمة قدم اللغة، واختلف حولها الفلاسفة واللغويون العرب وغيرهم، وأخذت حيزا كبيرا من الدراسات الإنسانية منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا، نجد ذلك في الدراسات اليونانية والهندية والعربية، فانقسموا إلى قائل بوجود علاقة طبيعية بين الدال والمدلول، وإلى قائل بعدم وجود علاقة بينهما واعتبار اللغة نتاج العرف، وهناك من اتخذ موقفا وسطا بين الرأيين[٢]. ونعني بالدلالة الصوتية تلك "التي تُستَمد من طبيعة الأصوات وهذا يعني أن بعض الأصوات يؤدي دوراً في الكلمة"[٣]، وقد عرفها إبراهيم أنيس بأنها: "تلك الدلالة المستمدة من طبيعة الأصوات، فإذا حدث إبدال أو إحلال صوت منها في كلمة بصوت آخر في كلمة أخرى، أدى ذلك إلى إختلاف دلالة كل منها من الأخرى"[٤].

فبين مؤيد ومعارض وحيادي تبرز آراء وتعليلات ابن جني حول هذه القضية، ولعل الدراسة التي تطرق لها ابن جني في هذا المجال تعد من أشمل الدراسات التي تناولت أصوات العربية وما فيها من قيم دلالية، تمكن القاريء من معرفة ما توحي به الأصوات عند قراءتها أو سماعها؛ إذ يُعَد ابن جني من اللغويين الأوائل الذين تطرقوا لقضية اللفظ والمعنى وقد خصص لها بابين في كتابه (الخصائص) تحت عنوان: (باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني) و(باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني) يقول في أحدهما: "فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث، فباب عظيم واسع، ونهج متلئب عند عارفيه مأموم، وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سِمَتِ الأحداث المُعَبَّر بها عنها، فيعدلونها بها ويحتذونها عليها، وذلك أكثر مما نقدره، وأضعاف ما نستشعره، من ذلك قولهم: خضم وقضم، فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب، والقضم للصلب اليابس نحو: قضمت الدابة شعيرها ونحو ذلك... فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث"[٥]. فمن خلال صفات

---

(١) ينظر: ومضات ألسنية لنصوص أدبية، د. نوزاد حسن أحمد: ٢٥ .

(٢) ينظر: موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ر.هـ. روبنز: ٤٨ ، واللسانيات النشأة والتطور، أحمد مؤمن: ١٥ .

(٣) الدلالة الصوتية في اللغة العربية، صالح الفاخري: ٤٧ .

(٤) دلالة الألفاظ: ٤٦ .

(٥) الخصائص: ٢ / ١٥٩ .

الصوت تتبين دلالته، فالخاء والقاف يقتربان في المخرج؛ فالأول طبقي والثاني لهوي، وكلا الصوتين مهموس، لكن القاف شديد والخاء رخو، وهذه الشدة والرخاوة هما اللتان حددتا المعنى(١).

وقد لاحظ العلماء وجود تناسب بين اللفظ والمعنى في الأصوات بسيطة ومركبة، ففي الصوت البسيط وجدوا أن الحرف الواحد يقع على صوت معين فيوحي بالمعنى المناسب، سواء أكان في أول اللفظ نحو: (صعد و سعد)، فالصاد أقوى من السين لذلك ناسب اللفظ الفعل وهو صعود الجبل، والسين أضعف منها كذلك ناسبت فعلها و هو صعود الجد لا الجسم، أم وسطه نحو: (قتر و قطر و قدر)، فالتاء خافية مستفِلة والطاء سامية متصعدة فأستعملت لتعاديهما في الطرفين نحو: (قتر الشيء وقطره)، والدال بينهما ليس فيها نزول التاء ولا صعود الطاء، فتوسطت بينهما فعبر بها عن بعض الأمر ومقابلته، أما في آخره نحو: (النضح والنضخ) فالنضخ للماء والسوائل، وهو أقوى من النضح، نحو قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴿٦٦﴾﴾ [الرحمن: ٦٦]، والخاء أقوى من الحاء، فناسب الصوت معناه(٢).

ويرى الرافعي أن التركيب البليغ لابد له أن يتضمن أصواتاً ثلاثاً هي: (صوت النفس، صوت العقل، صوت الحس)، لكي يستجمع الكلام بها أسباب الاتصال بين الألفاظ ومعانيها، فيقول في صوت النفس: "هو الصوت الموسيقي الذي يكون من تأليف النغم بالحروف ومخارجها وحركاتها ومواقع ذلك من تركيب الكلام ونظمه على طريقة متساوقة وعلى نضد متساو، بحيث تكون الكلمة كأنها خطوة للمعنى في سبيله إلى النفس، إن وقف عندها هذا المعنى قطع به"(٣)، ولعل النظام الصوتي للقرآن الكريم هو أول ما تتلقاه الأذن العربية، فيستحوذ على المستمع ويسحره، يقول في ذلك محمد درّاز: "إن أول شيء أحسته الأذن العربية في نظم القرآن هو ذلك النظام الصوتي البديع الذي قُسِّمَت فيه الحركة والسكون تقسيما منوعا يجدد نشاط السامع لسماعه، و وزعت في تضاعيفه حروف المد والغنة توزيعا بالقسط الذي يساعد على ترجيع الصوت به وتهادي النفس به آناً بعد آن"(٤)، ومن خصائص الأسلوب القرآني أنه ينتقي الصوت الأنسب الذي يؤدي المعنى المقصود، فيضع في كل

(١) ينظر: الدلالة الصوتية في كتاب الخصائص -دراسة على ضوء علم اللسانيات الحديثة-، د. بوزيد ساسي هادف: ٧٣ .

(٢) ينظر: دراسات في فقه اللغة، د. صبحي إبراهيم الصالح: ١٤٢ - ١٤٤ .

(٣) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ص ١٥٢ .

(٤) النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم: ١٣٤ .

مسألة الصوت الذي يناسبها، فنرى غلبة الأصوات الشديدة في آيات خلق الكون، كونه خلق عظيم لا يقوى عليه غيره سبحانه وتعالى، وفي كل مناسبة يختار القرآن الكريم صوتاً مناسباً لها، وهذه الميزة زادت من جمالية اللفظ القرآني.

والقرآن الكريم جاء معجزاً في النظم الموسيقي، وذلك لترتيب حروفه باعتبار من أصواتها ومخارجها ومناسبة بعضها لبعض مناسبة طبيعية في الجهر والهمس والرخاوة والشدة والترقيق والتفخيم والتفشي والتكرار، وهذا النظم المعجز في القرآن الكريم هو الذي صفى طباع البلغاء، حتى كان لهم من محاسن التركيب في أساليبهم ما لم يكن للعرب مثله من قبله(١)، كما أن للقرآن الكريم تصويراً فنياً يتجسد في نغماته و جرس كلماته وموسيقى السياق، مما يؤدي دوراً هاماً في إبراز صورة من الصور(٢)، وإن استقلالية أية لفظة بحروف معينة يكسبها ذائقة سمعية منفردة من الناحية الصوتية، وتختلف عما سواها من الألفاظ التي تؤدي المعنى نفسه، وهذا ما جعل لكل كلمة استقلاليتها الصوتية، إما في الصدى المؤثر أو في البعد الصوتي الخاص أو بتكثيف المعنى بزيادة المبنى، أو بزيادة التوقع أو بإقبال العاطفة، فهي حيناً تهيء النفس وحيناً تصك السمع وحيناً تضفي صيغة التأثر، وهذه الأجواء المتنوعة تضفيه الدلالة الصوتية للألفاظ، وهذا ما ينفرد به القرآن الكريم عن باقي النظم، فكلماته مختارة وتكونت من حروف مختارة، فشكلت أصواتا مختارة، وهذه سمات بارزة في مئات التراكيب الصوتية(٣).

(١) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ص ١٤٨ – ١٤٩ .

(٢) ينظر: التصوير الفني في القرآن، سيد قطب: ٣٧ .

(٣) ينظر: الصوت اللغوي في القرآن، د. محمد حسين الصغير: ١٦٤ .

المبحث الأول

دلالة صفات الأصوات

سنحاول في هذا المبحث التعرض لطبيعة العلاقة بين صفات الأصوات اللغوية في آيات خلق الكون في القرآن الكريم والمعنى العام لهذه الآيات، وقد قمنا بإحصاء الأصوات الواردة في هذه الآيات وذلك لمعرفة أكثر الأصوات وروداً فيها، وقد درجناها في الجدول الآتي:

ت	الصور	صفته	عدد المواضع التي ذكر فيها
١	ل	مجهور ، متوسط الشدة، منحرف، منفتح، مذلق، مستفل	١٩٢٦
٢	ا	مجهور ، رخو (احتكاكي)، منفتح، مصمت، مستفل	٢٦٦٨
٣	الهمزة	مجهور ، شديد (انفجاري)، منفتح، مصمت، مستفل	١٥٤٥
٤	م	مجهور ، متوسط الشدة، منفتح، مذلق، مستفل	١٠٥٠
٥	و	مجهور ، رخو(احتكاكي)، منفتح، مصمت، مستفل	١٠١٣
٦	ى	مجهور ، رخو (احتكاكي)، منفتح، مصمت، مستفل	١٠٢
٧	ن	مجهور ، متوسط الشدة، منفتح، مذلق ، مستفل	٩٣٦
٨	ي	مجهور ، رخو(احتكاكي)، منفتح، مصمت، مستفل	٩٠٨
٩	ر	مجهور ، متوسط الشدة، مكرر، منفتح، مذلق، مستفل	٦٦٨
١٠	هـ	مهموس ، رخو (احتكاكي)، منفتح، مصمت، مستفل	٥٦٧
١١	ت	مهموس ، شديد (انفجاري)، منفتح، مصمت، مستفل	٤٤٦
١٢	ب	مجهور ، شديد (انفجاري)، منفتح، مذلق، مستفل	٤٣٩
١٣	ك	مهموس، شديد (انفجاري)، منفتح، مصمت، مستفل	٣٧٨
١٤	ف	مهموس ، رخو (احتكاكي)، منفتح، مذلق، مستفل	٣٦٣
١٥	س	مهموس ، رخو (احتكاكي)، صفيري، مصمت، مستفل	٣٥٢
١٦	ع	مجهور ، متوسط الشدة، منفتح، مصمت، مستفل	٣٣٧
١٧	ق	مهموس ، شديد (انفجاري)، منفتح، مصمت، مستعلي	٢٩٨
١٨	د	مجهور ، شديد (انفجاري)، منفتح، مصمت، مستفل	٢٠٥
١٩	ج	مجهور ، شديد (انفجاري)، منفتح، مصمت، مستفل	١٩٩
٢٠	خ	مهموس ، رخو(احتكاكي)، منفتح، مصمت، مستعلي	١٨١

ت	الصور	صفته	عدد المواضع التي ذكر فيها
٢١	ح	مهموس ، رخو(احتكاكي)، منفتح، مصمت، مستفل	١٦٣
٢٢	ذ	مجهور ، رخو (احتكاكي)، منفتح، مصمت، مستفل	١٥٦
٢٣	ض	مجهور ، شديد(انفجاري)، مستطيل، مطبق، مصمت، مستعلي	١٤٠
٢٤	ش	مهموس ، رخو (احتكاكي)، متفشي، مصمت، مستفل	١٣٠
٢٥	ز	مجهور ، رخو (احتكاكي)، صفيري، منفتح، مصمت، مستفل	٩٧
٢٦	ث	مهموس ، رخو (احتكاكي)، منفتح، مصمت، مستفل	٧٣
٢٧	ص	مهموس ، رخو (احتكاكي)، صفيري، مطبق، مصمت، مستعلي	٦١
٢٨	ط	مهموس ، شديد (انفجاري)، مطبق، مصمت، مستعلي	٤٢
٢٩	غ	مجهور ، رخو (احتكاكي)، منفتح، مصمت، مستعلي	٣٨
٣٠	ظ	مجهور ، رخو (احتكاكي)، مطبق، مصمت، مستعلي	٢٦
٣١	ا ، ى (المد)	مجهور ، منفتح، مصمت، مستفل	٦٦٤
٣٢	و (المد)	مجهور ، منفتح، مصمت، مستفل	١٨٣
٣٣	ي (المد)	مجهور ، منفتح، مصمت، مستفل	٢١٢

نتائج الإحصاء:

١ – الجهر والهمس

من خلال الجدول السابق تبيّن لنا غلبة الأصوات المجهورة على المهموسة، حيث بلغت الأصوات المجهورة (١١٢٠٥) صوتاً، وهي نسبة كبيرة مقارنة بنسبة الأصوات المهموسة التي بلغت (٣٠٥٤) صوتاً، وهذه النسب العالية من الأصوات المجهورة تتناسب مع موضوع خلق الكون، وفيها دلالة واضحة على عظمة هذا الخلق وما يستوجبه من قوة وشدة، ليدل بذلك على عِظَم خلقه سبحانه وتعالى، وإن خلق الكون هو أعظم وأكبر من أي خلق آخر، فالإنسان خُلِقَ من نطفة فعلقة إلى حين اكتمال خلقه، أما الكون فخلقه الله تعالى و

ابتدعه من غير شيء[١]، بدليل قوله تعالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [غافر: ٥٧]، وفي خلق السماوات والأرض يقول الزمخشري (٥٣٨هـ): "خلق عظيم لا يقادر قدره، وخلق الناس بالقياس إليه شيء قليل مهين، فمن قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الإنسان مع مهانته أقدر، وهو أبلغ من الاستشهاد بخلق مثله"[٢]، ونلاحظ أن الأصوات المجهورة قد غلبت على غيرها في آيات خلق الكون، لتتناسب مع الموقف الذي جاءت فيه، مما زاد من جمالية تركيب اللفظة، وهو ما يميز النظم القرآني عن غيره.

٢- المَدِّيّة

نلاحظ أيضا كثرة وغلبة أصوات المد (ا ، و ، ي) في هذه الآيات، حيث ورد ألف المد في (٦٦٤) موضعاً، وواو المد في (١٨٣) موضعاً، وياء المد في (٢١٢) موضع، فيكون مجموعها(١٠٥٩) موضعاً، وهذا عدد ليس بهيِّن ويعد نسبة كبيرة في تشكيل أصوات آيات خلق الكون، وذلك يتناسب مع دلالة تلك الآيات لما في الكون من سعة وامتداد مستمرين، قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الذاريات:٤٧]، أي موسعون بناءها[٣]، والسعة امتداد المساحة في المكان[٤]، وقد ثبت علميا منذ أوائل القرن العشرين أن الكون دائم الاتساع إلى أجل غير مسمى، أي أن كل شيء في الكون يتباعد عن بعضه البعض بسرعات هائلة[٥]، وقد ساعد ورود أصوات المد في إيصال هذه الدلالة وإيضاح جماليتها في تشكيل صوتي معجز، وإيقاع مذهل يتناغم وطبيعة هذا الخلق المتكامل الانسجام.

٣- الوضوح السمعي

يرى علماء الصوت المحدثون أن اللام والميم والنون هي أكثر الأصوات وضوحا في السمع، لذلك يكثر استخدامها في الروي[٦]، وهي ذات صفات مشتركة في الجهر والتوسط والانفتاح والذلاقة والاستفال، ونلاحظ أن هذه الأصوات الثلاثة قد وردت بكثرة في آيات خلق

---

(١) ينظر: محاسن التأويل، القاسمي: ٨ / ٣١٥ .
(٢) الكشاف: ٤ / ١٧٩ .
(٣) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، سراج الدين الحنبلي: ١٨ / ١٠٠ .
(٤) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٢٧ / ١٦ .
(٥) ينظر: تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم، د. زغلول النجار: ١ / ٨٧ .
(٦) ينظر: الأصوات اللغوية، ابراهيم أنيس: ٢٧ .

الكون، فاللام وردت في (١٩٢٦) موضعاً، وهو أكثر الأصوات وروداً في هذه الآيات، يليه الميم في (١٠٥٠) موضعاً، فالنون في (٩٣٦) موضعاً، حيث بلغ مجموع المواضع التي وردت فيها هذه الأصوات التي تعد الأوضح سماعا (٣٩١٢) موضعاً، وهو عدد كبير يتناسب مع آيات خلق الكون؛ لأن الله تعالى يورد هذه الآيات ليدل بها على قدرته، ويلفتنا إلى عظمته سبحانه وتعالى[١]، وذلك يستوجب أصواتا واضحة في السمع، ليسمع الناس دلائل قدرته بوضوح، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٠ – ١٩١]، فضلاً عن أنّ هذه الأصوات (ل م ن) تُعَدُّ الأكثر وروداً في كلام العرب؛ لخفتها في النطق، وهذه السهولة في النطق تحاكي سهولة خلق الكون العظيم على الله جلّ جلاله فإنّه تعالى إذا أراد شيئاً يقول له (كُنْ) فيكون، قال تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس: ٨١ – ٨٢].

٤- الانفجار والاحتكاك

ويُظهر الجدول أيضا كثرة الأصوات الإنفجارية في آيات خلق الكون، وهي: (ب ت د ط ض ظ ك ق ء)، حيث وردت في (٣٥١٩) موضعاً، أما الأصوات المتوسطة الشدة فقد وردت في (٤٩١٧) موضعاً، وبهذا يكون مجموع المواضع (٨٦٠٩) موضعاً، وبلغ عدد ورود الأصوات الرخوة (الاحتكاكية) (٥٤٢١) موضعاً، وإن هذه النسب العالية من الأصوات الشديدة (الانفجارية) تتناسب مع موضوع خلق الكون، لما في هذا الخلق العظيم من قوة وشدة وانفجار، وفي حالة النطق بهذه الأصوات يحبس الهواء داخل الفم ويطبق بالكامل، و يضغط الهواء مدة من الزمن، ثم تفتح الشفتان فيندفع الهواء من الفم فجأة، محدثاً صوتاً انفجارياً، ويتذبذب الوتران الصوتيان أثناء النطق بها[٢]، وقد اختار القرآن الكريم هذه الأصوات ليُعَبِّر بها عن القوة والتمكن في خلق الكون، كما في قوله تعالى: ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ ﴾ [النازعات: ٢٧ – ٣٢]، هذه الآيات خطاب للمكذبين ومنكري البعث والحشر، أي أأنتم أصعب إنشاءاً أم هذه السماء الواسعة وما فيها من

(١) ينظر: الخواطر، الشعراوي: ١٧ / ١٠٧٢٨ .

(٢) ينظر: علم الأصوات، كمال بشر: ٢٤٨ .

أجرام، وأتقن وأحكم إنشاءها، وأظلم ليلها وأبرز ضوء شمسها، ثم انتقل إلى الأرض فوصف دحوها وبسطها للعباد وأخرج منها الماء وجعلها صالحة للزراعة، وهذه الجبال على عظمها أرساها في الأرض لتستقر بكم[١]، ويصف سيد قطب هذه الآيات بقوله: "وهذه المشاهد الكونية الهائلة الشاهدة بالقوة والتدبير والتقدير للألوهية المنشئة للكون، المهيمنة على مصائره في الدنيا والآخرة، فيعرضها في تعبيرات قوية الأسر، قوية الإيقاع، تتسق مع مطلع السورة"[٢]، فبدأت الآية بتكرار الهمزة وهي أقوى الأصوات العربية، لما يحدثه من "حفز قوي من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير"[٣]، وقد وردت في (١٥٤٥) موضعا في بيات خلق الكون، ونلاحظ ذلك أيضا في مواضع إحياء الأرض في مثل قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [فصلت: ٣٩]، أي أن الأرض بعد ما كانت يابسة متهشمة، أنزل الله عليها ماء اهتزت وتحركت بالنبات و ربت أي انتفخت وانفتحت[٤]، وإن هذا الاهتزاز الذي يعقبه انفتاح وانفجار يتناسب مع صفات الأصوات الانفجارية.

(١) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي: ٨ / ٤١٤ .

(٢) في ظلال القرآن: ٢ / ٣٨١١ .

(٣) أسباب حدوث الحرف، ابن سينا: ٧٢ .

(٤) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري: ٢١ / ٤٧٥ .

المبحث الثاني

مناسبة الأصوات لدلالة الألفاظ المفردة

يتميز النظم القرآني بالتناسق الكامل والتآلف التام بين اللفظ والمعنى، فألفاظه يلائم بعضها بعضا، وتؤدي الغرض المنشود، بحيث تتناسب الأصوات مع معاني الكلمات، من ناحية الجهر والهمس، والشدة واللين، والتفخيم والترقيق، مما يشكل أنغاما متناسقة ومتناسبة(١)، ويظهر هذا التناسق في تخيُّره للألفاظ، ونظمها في نسق خاص، ثم ينشأ عنه إيقاع موسيقي، في نسق خاص أيضاً(٢)، كما أنّ للصوت اللغوي قيمة تعبيرية مستوحاة من خصائص الصوت نفسه، نحو (الوسيلة) و(الوصيلة)، فالصاد أقوى من السين لما فيها من الاستعلاء، و(الوصيلة) أقوى دلالة من (الوسيلة)، فجعلوا الصاد لمناسبتها للمعنى الأقوى، والسين لمناسبتها للمعنى الأضعف(٣)، وفي هذا المقام سنذكر عدداً من آيات خلق الكون، ظهر فيها تناسب الأصوات مع دلالة الألفاظ والعبارات.

١ – قال تعالى:﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٤].

البث: تفريق الشيء وانتشاره(٤)، وإثارته، كبث الريح التراب، وبث النفس ما فيها من الغم والسر(٥)، ونشر ما كان خفيا، نحو (بث شكواه) و (بث السر)، أي أظهره، ثم استعمل (البث) مجازا في انتشار الشيء ومطلق الانتشار بعد أن كان كامنا(٦)، ومنه قوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ ﴾ [الواقعة: ٦]، فالباء صوت إنفجاري، عند النطق به يحبس الهواء الصادر من الرئتين عند الشفتين، ثم تنفرج الشفتان فيخرج الهواء من الفم فجأة ويتذبذب معها الوتران الصوتيان(٧)، والثاء إذا ورد ثانيا في أغلب الأفعال دل على التفريق والانتشار، نحو

(١) ينظر: مباحث في إعجاز القرآن، د. مصطفى مسلم: ١٣٥ و ١٣٨ .
(٢) ينظر: التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب: ٨٧ .
(٣) ينظر: الخصائص: ٢ / ١٦٢ .
(٤) ينظر: العين، الخليل: ٨ / ٢١٧ .
(٥) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ١٨٠ .
(٦) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٢ / ٨٤ .
(٧) ينظر: علم الأصوات، كمال بشر: ٢٤٨ .

(بثق النهر)[١]، فناسبت أصوات الفعل (بث) دلالته، لأن عملية إنزال الماء من السماء تتسبب في إحياء الأرض وانتشار الحياة فيها، فجيء بالفعل (بث) ليناسب و يحاكي هذا الانتشار، وهذه العملية تحاكي انفجار الأرض بالنبات والأحياء بعد إنزال الماء عليها، وانفجار الأرض بالمخلوقات وانتشارها، بعد أن كانوا محبوسين، وإنّ بعثرة النفس بعد خروج صوت الباء تتناسب مع دلالة لفظة (بث)، والثاء صوت احتكاكي مهموس[٢]، عند النطق به يتبعثر النفس ببطء أثناء خروجه بين طرف اللسان والأسنان العليا، فيخرج النفس مبعثرا، فيسمع معها حفيفا طريا[٣]، وهذا يتناسب مع دلالة الفعل، فضلا عن وجود التضعيف في صوت الثاء، لأن في البث استطالة وامتداد.

٢ - قال تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

قوله تعالى (أَنَّ السَّمَوات وَالأَرضَ كانَتَا رَتقاً فَفَتَقْنَاهُمَا)، أي: أنَ السماوات والأرض كانتا متلاصقتين لا فرج بينهما ولا فضاء، ففتقهما الله تعالى وفصل بينهما[٤]، و"الرتق ضد الفتق، أي: إلحام الفتق وإصلاحه"[٥]، وهو "الضم والالتحام"[٦]، ويستخدم الفتق للفصل بين الشيئين المختلفين المتصلين أحدهما بالآخر[٧]، وتبرز الجمالية الصوتية لألفاظ القرآن الكريم في إنتقاء حروفها وتناسقها، وكلمة (رتقاً) تتكون من صوت (الراء) في أولها، وفيه دلالة على الثبات والربط وضم الأشياء بعضها إلى بعض، في أغلب الألفاظ؛ حيث ورد هذا الصوت في مقدمة الكثير من الألفاظ التي تدل على ذلك، نحو (ربضت الغنم) أي لصقت بالأرض، و(رزح البعير) أي: ضعف ولصق بالإرض[٨]، وهذه المعاني وغيرها الكثير تتوافق مع دلالة لفظة الرتق، فضلا عن أن صوت الراء من أوضح الأصوات الساكنة في السمع[٩]، لأنه خطاب موجه إلى الكفار حتى يسمعوا بوضوح آياته ودلائل قدرته، أما الفتق فهو انفصال

(١) ينظر: دقائق العربية، أمين ناصر الدين: ١٧ .
(٢) ينظر: علم الأصوات: ٢٩٨ .
(٣) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها، حسن عباس: ٦٠ - ٦١ .
(٤) ينظر: الكشاف: ٣ / ١١٣ .
(٥) لسان العرب، ابن منظور: ١٠ / ١١٤ .
(٦) المفردات في غريب القرآن: ٣٤١ .
(٧) ينظر: الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري: ١ / ١٥٢ .
(٨) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها: ٨٦ .
(٩) ينظر: الأصوات اللغوية: ٦٣ .

الشيئين، أي: السماوات والأرض؛ فالفاء من الأصوات الرخوة المهموسة[١]، وإنّ تكراره في لفظة (فَفَتَقناهُما) يتناسب مع عملية الفتق، فعند النطق به يخرج الهواء بطلاقة من بين الأسنان، وعلى الرغم من هذه الصفات الضعيفة في صوت الفاء، إلاّ أنّ كثيراً من الألفاظ التي تبدأ بهذا الصوت تدل على الشق والقطع، وهي أحداث تستوجب قوة وشدة[٢]، فضلاً عن وجود صوت (الهاء) فعند النطق به "يتخذ الفم الوضع الصالح لنطق حركة كالفتحة مثلاً ويمر الهواء خلال الانفراج الواسع الناتج عن تباعد الوترين بالحنجرة محدثاً صوتاً احتكاكياً"[٣]، مما ساعد وجود هذا الصوت في زيادة محاكاة عملية الفتق بكثرة خروج الهواء من الفم، أما في حالة النطق بصوت الراء، فلا يخرج الهواء وإنما يحدث تكرار لطرق اللسان، وهو يحاكي عملية الرتق والإلتحام، وعلى الرغم من أن التاء صوت انفجاري، إلا أن مجيئه ساكناً –في (رَتْقاً)– حَدَّ من خروج الهواء، مما جعله يتناسب مع الحدث، فضلا عن أن حرف التاء إذا ورد ثانيا في الأفعال دل على القطع، نحو: (بتر العضو) أي قطعها[٤].

وتجدر الإشارة إلى أنّ صوت (القاف) قد ورد في كلا اللفظين (الرتق) و(الفتق)، فعند النطق به يرتفع أقصى اللسان باللهاة ويلتصق بها، فلا يسمح للهواء بالمرور من الأنف مدة من الزمن، وينفصل أقصى اللسان عن اللهاة فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً[٥]، ففيه دلالة على الفتق والرتق معاً، فالتصاق اللسان باللهاة وحبس الهواء مدة يدل على الرتق، وانفصال اللسان عن اللهاة وخروج الهواء فجأة يدل على الفتق، لذلك جاء الصوت في كلا اللفظين ليدل على الرتق والفتق معاً، ولأنّ كلَيهما يستوجب قوة وشدة. ونظير ذلك كثير في القرآن الكريم، وتحديدا في آيات خلق الكون، نحو قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ ﴾ [ق: ٦]، الفروج هي الشقوق والفتوق بين الشيئين[٦]، أي أن السماء ليس فيها شقوق ولا صدوع[٧]، فعند النطق بصوت الفاء يخرج الهواء من الفم بسهولة، وهذه العملية تحاكي الفتق، فخروج الهواء دلالة على وجود الفتق، والفروج أخف من التصدع في بيان قدرته، واستخدم هذا اللفظ دلالة على كمالها، أي لا

(١) ينظر: الأصوات اللغوية: ٢٥ .
(٢) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها: ١٣٢ .
(٣) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران: ١٤٨ .
(٤) ينظر: دقائق العربية: ١٧ .
(٥) علم الأصوات، كمال بشر: ٢٧٦ .
(٦) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٦٢٨ .
(٧) ينظر: معاني القرآن، الفراء: ٣ / ٧٦ .

نقص ولا عيب يتخللها رغم عظم حجمها، أما مع الفتق فهنا تصوير لعملية جبارة وهي الفصل بين السماء والأرض، فجاء الفتق الذي نحس معه بصوت المفتوق من القماش عندما تحدث هذه العملية، فكانت الأصوات الأقوى للأقوى والأخف للأخف.

٤- قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٦١﴾ ﴾ [الحج: ٦١].

الولوج هو: "الدخول في مضيق"[١]، نحو قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ ... ﴿٤٠﴾ ﴾[الأعراف: ٤٠]، فهو إدخال جسم في آخر، فقوله تعالى (يولج الليل في النهار) هو غشيان ضوء النهار على ظلمة الليل، وقوله: (يولج النهار في الليل) هو عكسه، أي: غشيان ظلمة الليل على ضوء النهار، فإيلاج الليل هو انقضاؤه، وإن انقضاء الليل والنهار يحدث تدريجياً، كأنّه إيلاج شيء في آخر تدريجياً[٢]، نلاحظ أن القرآن الكريم آثر استخدام لفظة (يولج) على غيرها، حيث بدأت اللفظة بصوت الياء متبوعاً بالواو المَدِّيّة، والواو من الصوائت التي يمر هواؤها حراً طليقاً دون عائق[٣]، وهذه السهولة والطلاقة في نطق لفظة (يولج) لا توجد في مرادفاتها الأخرى، مثل (يُدخِلُ) وغيرها؛ فنطقها أسهل، وهذا يتناسب مع سهولة هذا الأمر على الله تعالى، أي إيلاج الليل في النهار، وإنّ صوت الواو يتكون من اندفاع الهواء في الفم، مما يوحي بالبعد إلى الأمام[٤]، وهذا يحاكي عملية الإيلاج، وإدخال شيء في آخر، فعند النطق بلفظة (يولج) تضيق فتحة الفم، وهذه الحركة تحاكي عملية إدخال شيء في آخر، لأننا -على سبيل المثال- إذا أردنا إدخال الخيط في الإبرة، فإننا نعمل على تصغير رأس الخيط، ليسهل الإدخال، وهذا ما لاحظناه في بداية لفظة (يولج)، فضلاً عن أنّ القرآن الكريم استخدم الفعل (يولج) بصيغة المضارع، ليدل بذلك على استمرار وديمومة تعاقب الليل والنهار، فناسبت الأصوات الفعل في الدلالة من حيث السهولة واليسر والزمن من حيث الاستمرار والتكرار.

(١) المفردات في غريب القرآن: ٨٨٣ .

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٧ / ٣١٥ .

(٣) ينظر: علم الأصوات، كمال بشر: ١٥٩ .

(٤) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها: ٩٧ .

٥ – قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠ ﴾ [الزخرف: ١٠].

قوله تعالى (الذي جَعَلَ لَكُم الأَرضَ مَهْداً) أي: إنّ من رحمة الله أن صيّر لكم الأرض كالمهد موطأةً ومستقراً، ولما كان المهد موضع راحة للطفل، جعل الله الأرض بعد خلقها كمهد الصبي[١]، وصوت الميم في كلمة (مهداً) يتناسب مع دلالة اللفظة، فضم الشفتين حال النطق بالميم، يوحي لنا بالضم والجمع الذي تحمله كلمة (المهد)، وانطباق الشفتين بشيء من الشدة حال النطق بالميم، يحاكي عملية بداية الأحداث[٢]، كرضاعة الطفل، يليه حرف الهاء الساكن، وهو صوت مهموس عند النطق به لا يتذبذب الوتران الصوتيان[٣]، وهذا الهدوء الذي في صوت الهاء، ومافيه من همس واستقرار للوترين الصوتيين، يتناسب مع الدلالة المستمدة من المهد الذي يرتاح فيه الرضيع ويهنأ بنوم عميق، كما أن الأم تهمس للطفل في المهد ليطمئن ويستقر وينام، أما صوت الدال فهو من الصوامت المجهورة، وقد جاء في نهاية لفظة (مهداً) ليدل بذلك على عدم دوام هذا الهدوء والاستقرار، ففي النهاية –يوم القيامة– سيصيب هذه الأرض المُمَهَّدة المستقرة زلازل واضطرابات، قال تعالى: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ ﴾ [الزلزلة: ١ – ٢].

وقوله سبحانه (وَجَعَلَ لَكُم فِيها سُبُلاً) أي: سَهَّل لكم فيها طرقاً تتنقلون من مكان إلى آخر، لمعايشكم ومتاجركم[٤]، والسبيل: الطريق السهل المسلك[٥]، نلاحظ أن القرآن الكريم آثر استخدام لفظة (سبل) على (طرق) وغيرها، لسهولة نطقها، لأن جُل أصواتها قريبة المخرج (س، ب، ل)، فالباء صوت شفوي، والسين واللام أسنانيان لثويان، وهذه السهولة في النطق تتناسب مع دلالة الكلمة، وهو الطريق السهل المسلك، فضلاً عن أنّ صوت السين نقي في السمع، يوحي إلى الإنزلاق والامتداد واللين عند النطق به[٦]، وهذا يتناسب مع دلالة الكلمة التي ورد في أولها هذا الصوت، والسين "يدل على السعة والبسطة من غير تخصص"[٧]،

(١) ينظر: التفسير الكبير، الرازي: ٢٧ / ٦٢٠ .
(٢) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها: ٧٢ .
(٣) ينظر: علم الأصوات، كمال بشر: ٣٠٤ .
(٤) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ٢١ / ٥٧٢ .
(٥) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٣٩٥ .
(٦) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها: ١١١ – ١١٢ .
(٧) تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي، د. أسعد أحمد علي: ٦٤.

وصوت الباء انفجاري، ومن دلالاته الانفراج والشق والحفر[١]، وهو أيضا يحاكي دلالة الكلمة، واللام صوت أسناني لثوي مجهور و متوسط الشدة، يعد من الأصوات الجانبية، لأن الهواء المحصور في الفم يخرج من جانبيه[٢]، ولهذا الصوت إيحاء بالمرونة والليونة[٣]، وهذا يتناسب مع دلالة الكلمة التي ورد في آخرها هذا الصوت، فضلا عن أن السورة تتمتع بإيقاع رخي مستقر يتناسب مع جوها وموضوعها الذي يركز على مسألة التوحيد والرسالة والبعث[٤]، وهذا ما جعلها تتضمن ألفاظا سلسة عذبة، حيث ترابطت هذه الأصوات كلها لتؤدي دلالة السهولة والسعة والانفراج والانبساط في السبل التي هيَّأها الله تعالى على الأرض لبني البشر.

٦- قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣١].

قوله تعالى (فِجَاجاً سُبُلاً) أي: طرقا ومسالك واسعة[٥]، يدل الفج على الانفراج والتفتُّح، ومنه الفج أي: الطريق الواسع بين جبلين[٦]، وتظهر جمالية القرآن الكريم في أنه استخدم لفظة فيها أصوات توحي للسامع بدلالتها، دون الحاجة للرجوع إلى المعاجم اللغوية لمعرفة معناها، وهذا ما نلاحظه في لفظة (فجاجاً)، فصوت الفاء الذي جاء في بداية الكلمة، يعطي إيحاءا لمعنى الكلمة، فعند النطق به يشق الهواء طريقه من خلال الأسنان العليا إلى الخارج، ليحاكي بذلك دلالة لفظة (فجاجا)، وعلى الرغم من هذه الصفات الضعيفة في صوت الفاء، إلاّ أن كثيراً من الألفاظ التي تبدأ بهذا الصوت تدل على الشق والقطع، وهي أحداث تستوجب قوة وشدة[٧]، فاتحدت اللفظتان (فجاجاً) و(سبلاً) لإعطاء الدلالة المكملة لهذه الطرق السلسة الممتدة الساكنة للبشر، فضلاً عن أنّ تكرار صوت المد في (فِجاجاً) يوحي بالسعة في الطريق، أما تكرار صوت الجيم الشديد في (فِجاجا) الذي أضفى قوة ظاهرة على اللفظة؛ فيوحي لنا بقوة وشدة هذه الطرق لأنها طرق جبلية تستوجب قوة وشدة، ولا يقوى الإنسان عليها، ونظير ذلك كثير في كتاب الله نحو قوله تعالى: ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ

(١) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها: ١٠٢ .
(٢) ينظر: علم الأصوات، كمال بشر: ٣٤٧ - ٣٤٨ .
(٣) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها: ٧٩ .
(٤) ينظر: في ضلال القرآن: ٤ / ٢٣٦٤ .
(٥) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: ٤ / ٥٠ .
(٦) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس: ٤/ ٤٣٧. ولسان العرب، ابن منظور: ٢/ ٣٣٨ .
(٧) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها: ١٣٢ .

سَكَنًا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنعام: ٩٦]، إن الله تعالى فالق الصبح كل يوم أي: يشق الضياء عن الظلام ويكشفه[١]، والفلق: "شق الشيء وإبانة بعضه عن بعض"[٢]، ويستخدم الفلق في الدلالة على شق أمر كبير، كفلق الإصباح، وفلق الحب والنوى، ولا يقال في ذلك شق، لأن في الفلق دلالة على ابتداء أمر آخر أكثر نفعا[٣]، فعلى الرغم من المنافع الكثيرة لليل إلاّ أنَّ النهار أكثر نفعاً من الليل للناس، فهو لابتغاء فضل الله تعالى وطلب الرزق. نلاحظ أنّ لفظة (فالق) بدأت بصوت الفاء الذي قلنا بأنّه عند النطق به يشقُّ الهواء طريقه من خلال الثنايا العليا إلى الخارج، ليحاكي عملية فلق الإصباح، واللام من أوضح الأصوات المسموعة، وذلك يتناسب مع دلالة فلق الإصباح، فعند فلق الإصباح يصبح كل شيء واضحاً، وعند النطق بهذا الصوت يلتصق مقدمة اللسان باللثة العلوية من الفم فيُحبَس الهواء عندها، ثم ينفصل اللسان عن اللثة فيخرج الهواء حراً من جانبَي اللسان، وهذه العملية تحاكي عملية فلق الإصباح، وكذلك الحال مع صوت القاف الانفجاري فعند النطق به يلتصق اللسان بالحنك الأعلى فيُحبَس الهواء عندها، ثمّ ينفصل اللسان عن الحنك فيخرج الهواء حراً من الفم، فضلاً عن صوت المد الألف فإنّه يوحي لنا بعملية الانفلاق والانفجار، فكأنّ المد في الكلمة يصوّر عملية حبس الهواء لفترة ثم انلاطقه فجأة ممّا يحاكي هذه العملية، فكل أصوات الكلمة تدل على معناها.

٧- قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا ﴿٤٧﴾﴾ [الفرقان: ٤٧].

قوله تعالى (اللَّيلَ لِباساً) أي: أنّ الله تعالى جعل لكم الليل ستراً تستترون به، فشبّه الليل باللباس الذي يغطي الناس ويسترهم، و قوله (والنَّومَ سُباتاً) أي: راحة للأبدان، وقطعاً للأعمال، وقوله (وجعل النهار نشورا) أي: جعل لكم في النهار حركة وانتشارا لتبتغوا من فضله[٤]، استخدم القرآن الكريم ثلاثة ألفاظ هي: (لباساً، سباتاً، نشوراً) في ثلاثة مواضع، وكل لفظ جاء متناسب المعنى ومتناسق النظم والتركيب، فعند النطق باللفظتين (لباساً) و(سُباتاً)، يبرز صوت السين وألف المد، والسين من الأصوات المهموسة التي إذا جاءت في نهاية الكلمة، فإنها تدل على الاستقرار والخفاء[٥]، وجاء في الألفاظ التي تستوجب الهمس وهي

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٧ / ٤٥ .
(٢) المفردات في غريب القرآن: ٦٤٥ .
(٣) ينظر: الفروق اللغوية: ١ / ١٥١ .
(٤) ينظر: التفسير الكبير: ٢٤/ ٤٦٥، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي: ٤٤٨/٣.
(٥) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها: ١١٣ .

الليل والنوم، يمكن القول أن المد مع السين يعطي إيحاءً بالهدوء والراحة التي تدفع إلى السكينة والنوم وتخفف من وطأة الصفير في السين، وقُرِأَت (سِباتاً) بكسر السين، وقيل معناها أيضا الراحة[١]، وهذا يتناسب مع دلالتيهما، فاللباس خفاء، والسبات استقرار، أما لفظة (نشوراً) فعند النطق بها، يبرز صوت (الشين) و (واو) و(ألف) المد، وعند النطق بالشين يكون منفذ الهواء أوسع من المنفذ الموجود في حال النطق بالسين[٢]، فالنهار متّسع للإنسان لقضاء حوائجه، والليل أضيق منه، وإن بعثرة النَّفَس حال النطق بالشين يحاكي الأحداث التي تتم فيها البعثرة والخلط والانتشار[٣]، بذلك ناسب الصوت دلالة اللفظة التي ورد فيها، والسين صوت مهموس، والشين أيضا صوت مهموس، ولكنه حرف تفشي، وجاء في لفظة (النهار) التي تستوجب الانتشار والحركة، أمّا صوت (الراء) الذي ورد في لفظتَي (النهار) و(نشوراً)؛ فهو صوت مكرر ويحدث هذا التكرير عن طريق تكرُّر طرق اللسان للحنك عند النطق به[٤]، فالراء يتكون من تتابع طرقات سريعة لطرف اللسان على اللثة، وتؤدي هذا الطرقات السريعة إلى أن يحدث الوتران الصوتيان نغمة عند النطق بالراء[٥]، وهذه الصفات تتناسب مع دلالة اللفظتين اللتين ورد فيهما الصوت (النهار، نشوراً)؛ ففي النهار حركة متكررة للإنسان وهو يسعى، فضلا عن أن أصوات المد في (نشوراً) تضمنت (واواً) و (ألفاً)؛ فهناك اختلاف في شكل الفم والحلق عند النطق بهذين الصوتين، إذ ينفتح الفم حال النطق بالألف، و تضم الشفتان عند النطق بالواو[٦]، فهذا الاختلاف وعدم الاستقرار في حركة الفم يحاكي حركة الإنسان وانتشاره في النهار سعيا إلى الرزق، وقرأت {جَعَلَ لَكُمُ}و {اللَّيلَ لِباساً} بالإدغام[٧]، والإدغام أيضاً جاء متناسبا مع دلالة الآية، لأن أصل اللبس هو ستر الشيء[٨]، نحو قوله

(١) ينظر: معجم القراءات، د. عبد اللطيف الخطيب: ٦ / ٣٥٩ ، و فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني: ٩ / ٣٧ .

(٢) ينظر: علم الأصوات، كمال بشر: ٣٠٢ ، و ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: ١٤٦.

(٣) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها: ١١٥ .

(٤) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: ٦٦ .

(٥) ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: ١٧١ .

(٦) ينظر: سر صناعة الإعراب، ابن جني: ١ / ٢١ .

(٧) ينظر: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، عبد الفتاح القاضي: ١ / ٢٢٨ .

(٨) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٧٣٥ .

تعالى: ﴿ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤٢ ﴾ [البقرة: ٤٢]، أي: تلبسون الحق بالباطل، كذلك الإدغام هو إدخال شيء في آخر، فالليل كاللباس يغطي الناس.

إنّ التركيب الصوتي في القرآن الكريم معجز بنظمه، إذ أننا لو استبدلنا لفظة بأخرى فيها الدلالة ذاتها، فإنها لا تؤدي وظيفة اللفظة القرآنية المختارة نحوقوله تعالى:﴿ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٩٦ ﴾ [الأنعام: ٩٦]، فلفظة (سكناً) معناها الهدوء والطمأنينة، ولكن القرآن الكريم آثر استخدام لفظة (سكناً) على غيرها، لأن الدلالة التي تبثها أصوات كلمة (سَكَناً) في شعورك لا تجد شيئا منه في غيرها مهما تساوى معها في الدلالة اللغوية، حيث تبدأ اللفظة بصوت مهموس صفيري، فضلا عن توالي الفتحات الخفيفات على حروفها، فتشعرك بالهدوء والطمأنينة و تبث الأمن والراحة في انحاء النفس(١)، فضلا عن أن التركيب الصوتي للفظة (سكناً) يغنيك عن البحث عن دلالتها اللغوية في المعاجم والتفاسير، فدلالتها واضحة من خلال نظم وانتقاء حروفها، وهذا ما ينفرد به النص القرآني عن سائر النصوص الأخرى، وهذا أحد أسرار جمالية التركيب القرآني.

(١) ينظر: من روائع القرآن، محمد سعيد رمضان البوطي: ١٤٠ .

الخاتمة والنتائج

توصل البحث إلى عدد من النتائج، أهمها:

١. اتسمت الدراسة الصوتية في القرآن الكريم بالدقة والتميُّز.
٢. أكّد البحث على جانب هام من جوانب الإعجاز اللغوي القرآني وهو الجانب الصوتي، إذ لا يمكن الاستغناء عنه في بلوغ المعنى المراد.
٣. يسهم الجانب الصوتي في الكشف عن المعاني الخفية في ثنايا النص، من خلال نظم وترتيب الأصوات في تركيب الكلمة، وتناسقها مع بعضها وتآلفها لإنتاج الدلالة.
٤. يتميز التركيب القرآني بالدقة المتناهية في تخير أصوات ألفاظه، وقد لاحظنا إيثار ألفاظ معينة على غيرها لاحتوائها على أصوات تؤدي المعنى الدقيق.
٥. من خلال جرد وإحصاء أصوات آيات خلق الكون، تبيّن لنا غلبة الأصوات المجهورة على المهموسة، وكثرة الأصوات الشديدة، وهو أمر طبيعي لأن القرآن الكريم قد وظّف كلّ صوت في مكانه المناسب، ليؤدي المعنى المطلوب، وموضوع خلق الكون يستوجب كثرةً في الأصوات المجهورة والشديدة، لأنّه خلق عظيم يستوجب شدة وجهراً.
٦. تبيّن أيضاً كثرة أصوات المد (ا، و، ى) حيث بلغ عددها (٣٣٣١) صوتاً، وهذا العدد يتناسب مع سعة وامتداد الكون، وهذا ما كشفت عنه الدراسات الفلكية الحديثة.
٧. كذلك جاءت الأصوات الأكثر وضوحاً في السمع بكثرة، وهي: (ل، م، ن) وبلغ عددها (٣٩١٢) صوتاً، وهو بدوره يتناسب مع موضوع خلق الكون لأنّ الله تعالى يورد هذه الآيات ليستدل بها على قدرته، ويلفت أسماعنا إلى عظمته، وهذا يستوجب أصواتاً واضحة في السمع.

ثبت المصادر

- أسباب حدوث الحرف، أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا (ت: ٤٢٨هـ)، تحقيق: محمد حسّان الطيّان ويحيى مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ط١، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.
- الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط٥، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٨، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م.
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة – القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (ت: ١٤٠٣هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت:١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.
- التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ١٣٨٧هـ – ١٩٦٨م.
- تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم، د. زغلول راغب محمد النجار، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.
- تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، (ليس على الكتاب الأصل – المطبوع – أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام ١٩٩٧م).
- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

- تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي، د. أسعد أحمد علي، دار السؤال للطباعة والنشر، دمشق، ط٣، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.
- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- خصائص الحروف العربية ومعانيها، حسن عباس، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، (د.ت)
- دراسات في فقه اللغة، د. صبحي إبراهيم الصالح (ت: ١٤٠٧هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م.
- دقائق العربية جامع أسرار اللغة وخصائصها، الأمير أمين آل ناصر الدين، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م.
- دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط٣، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.
- الدلالة الصوتية في اللغة العربية، د. صالح سليم عبد القادر الفاخري، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، (د.ت) (د.ط).
- الدلالة الصوتية في كتاب الخصائص -دراسة على ضوء علم اللسانيات الحديثة-، د. بوزيد ساسي هادف، حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، رقم (٣)، ٢٠٠٩م.
- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- الصوت اللغوي في القرآن، د. محمد حسين علي الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- علم الأصوات، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت:١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، القاهرة، (د.ت) (د.ط).
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م.
- الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ت) (د.ط).
- في ضلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الشرعية الثانية والثلاثون، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مؤمن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط٢، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
- مباحث في إعجاز القرآن، د. مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، ط٣، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت:١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه - بيروت، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت:٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط١، (د.ت).
- معجم القراءات: د. عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، القاهر، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، سدمشق، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.
- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
- من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، محمد سعيد رمضان البوطي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
- موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ر.هـ. روبنز، ترجمة: د. أحمد عوض، عالم المعرفة، الكويت، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.
- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم: محمد بن عبد الله دراز (ت: ١٣٧٧هـ)، اعتنى به : أحمد مصطفى فضلية، قدم له : د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم للنشر والتوزيع، طبعة مزيدة ومحققة، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
- ومضات ألسنية لنصوص أدبية، د. نوزاد حسن أحمد، مكتب التفسير، ط١. (د.ت).